مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص333 – ص348
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

قراءة في كتاب أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الاسلامي وحضارته لصالح بن قربة

Reading in a book of research and studies in the history and archeology of the Islamic Maghreb and its civilization du Saleh bin Qurba

محمودي ذهبية [1]

[1] معهد الآثار جامعة الجزائر 2

dehbia.mahmoudi@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 09/ 04/ 2022 تاريخ القبول: 10/ 06/ 2022

الملخص:

يعتبر المرحوم الأستاذ الدكتور "صالح بن قربة"(1946م-2020م)، واحدا من أبرز أعمدة الكتابة التاريخية والأثرية في الجزائر بصفة خاصة، والعالم العربي الاسلامي بصفة عامة،نظرا لما خلفه من منتوج علمي هام تأليفا وتحقيقا ،فقد أفنى حياته محاضرا ومدرسا في جامعة الجزائر -2-،بمعهدي التاريخ والآثار ،حيث كرس كل وقته للبحث في التاريخ والتراث الحضاري للمغرب الاسلامي ،فانصبت جل أبحاثه حول الفترة الوسيطة تاريخيا و المسكوكات أثريا،فأبلى بلاء حسنا،جعل مؤلفاته من الأعمال الأكاديمية المتميزة،التي أثرت المكتبة الوطنية والعربية،فأصبحت هذه الأخيرة مرجعا لا يمكن تجاهله في دراسة التاريخ والآثار ،خاصة في مجال المسكوكات بالمغرب الاسلامي .

الكلمات المفتاحية: صالح بن قربة؛ التاريخ؛ الآثار؛ التأليف؛ الكتاب

Abstract

The late Professor Dr. “Saleh bin Qurba” (1946– 2020), is considered one of the most prominent pillars of historical and archaeological writing in Algeria in particular, and the Arab-Islamic world in general,

due to the important scientific product he left behind in writing and investigation. He spent his life as a lecturer and teacher at the University of Algeria -2-, Institutes of History and Archeology, Where he devoted all his time to researching the history and cultural heritage of the Islamic Maghreb, so most of his research was focused on the historically intermediate period and archaeological coins. and antiquities, especially in the field of coinage in the Islamic Maghreb.
Keywords : Saleh bin Qurba ;History; Archaeology; authorship; the book

المؤلف المرسل: الاسم واللقب.ذهبية محمودي
البريد الالكتروني: dehbia.mahmoudi@univ-alger2.dz

العرض :

ان العطاء بإخلاص في هذه الحياة سر من أسرار الخلود ،سر طالما اتخذه استاذنا صالح بن قربة رحمه الله نمطا لحياته ،فمهما غيبته الموت فذكراه ستبقى خالدة وراسخة في الأذهان.

لقد فارقنا أستاذنا الفاضل بعد عطاء كبير،تاركا سيرة عطرة وذكرى طيبة وروحا نقية وميراثا من العلم والخلق الرفيع،فهو الذي لا يهادن في العلم ،شعاره الذي كان يردده دوما على مسامعنا:يا جماعة العلم قراءة..فكم كان حازما وملتزما بواجباته،حمل الأمانة بإخلاص،ومنح للتاريخ والآثار كل جهده،حبا لخدمة العلم والوطن ،وكثيرا ما عمل على ترجمة جهوده ضمن مؤلفات مهمة ،من بينها الكتاب الذي قمت بقراءته من خلال هذه الورقة البحثية.

1-المعلومات الكاملة عن الكتاب:

صالح يوسف بن قربة،أبحاث ودراسات في تاريخ و آثار المغرب الاسلامي وحضارته، دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،2011م.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص333 – ص348
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

2-أسباب اختياري لهذا الكتاب:

كونه يتحدث عن الفترة الوسيطة من تاريخ المغرب الاسلامي،وأنا أحب كثيرا القراءة في هذه الفترة ،سواء تاريخيا أو أثريا،اضافة الى المواضيع المهمة التي تطرق اليها الكاتب من وجهة نظره الشخصية واعتماده الكلي على المصادر وإبداء رأييه في بعض المواضيع بما يتوافق والفترة التي نعيشها.

3- الدواعي الذي جعلت الكاتب يؤلف هذا الكتاب:

-الطبيعة الجغرافية وتنوع بيئاتها ومسيرة شعوبها منذ دخول الاسلام إليها

-يعتبر العصر الاسلامي من أهم الفترات التاريخية التي كان لها أعمق الأثر في بلورة شخصيتها التاريخية ،وتفجير طاقات شعوبها في الابداع والابتكار.

-الاختلاف الكبير ولجلي بين الشعوب الاسلامية في المشرق والشعوب الاسلامية في المغرب،حيث نقف على هذا الاختلاف في ميادين مختلفة من حياتها الفكرية والعلمية والفنية والصناعية والمعمارية

-البحث في الأصالة وإحياء الصلة بماضينا

4-محتويات الكتاب:

قسم الكاتب هذه الدراسة الى ثلاثة أبواب،وكل باب يحتوي مجموعة من الفصول

-الباب الأول:من قضايا التاريخ الاسلامي وآثاره

*الفصل الأول:من آثار عقبة بن نافع الفهري في المغرب الأوسط(الضريح والمسجد)

*الفصل الثاني:أهمية السكة الادريسية كمصدر أثري أصيل في تاريخ بلاد المغرب الأقصى.

الفصل الثالث:النسب الشريف كظاهرة سياسية

الفصل الرابع:الجدل الفكري والصراع المذهبي في بلاد المغرب الاسلامي من خلال المسكوكات والكتابات الشاهدية

مجلة الدراسات التاريخية

الباب الثاني:من قضايا التراث العربي الفكري والمادي
الفصل الأول:أهمية الكتابات الأثرية الشاهدية في تاريخ المغرب وحضارته.
الفصل الثاني:اشكالية فهرسة المخطوطات
الفصل الثالث:أهمية الخط في تأريخ المخطوطات
الباب الثالث:من قضايا العمارة والعمران والتنمية البشرية ببلاد المغرب الاسلامي.
الفصل الأول:جامع الكتبية بمراكش
الفصل الثاني:جامع حسان بالرباط
الفصل الثالث:العمران الصحراوي-اشكالية الدراسة والمنهج-
الفصل الرابع:العمران الاسلامي من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد الفرسطائي
الفصل الخامس:دور الآثار في مجال التنمية البشرية

4-1-الباب الأول : من قضايا التاريخ الاسلامي وآثاره

الفصل الأول: من آثار عقبة بن نافع الفهري في المغرب الأوسط(الضريح والمسجد)

تناول فيه الكاتب ضريح عقبة بن نافع والمسجد من زاويتين: التاريخية والأثرية،حيث ذكر أن دراسته شافية ووافية،وهي أول دراسة جزائرية لهذا الموضوع لأنه وحسبه،ذكرت معلومات وإشارات مقتضبة ضمن دراسات جامعية ،اقتضى السياق الموضوعي ذكرها عرضا ،وعدا هذا فلا توجد أي دراسة اعتمدت الطريقة التي انتهجتها ،حيث يذكر الدكتور بن قربة ،أنه لجأ الى جمع كل المعلومات التي وردت في جل المصادر التاريخية في شكل جداول بيانية تيسيرا للدارسين وتعميما للفائدة ،وعمل اسقاطات لمعرفة خصائص موقع تهودة وأوصافها وعدد المعالم والمخلفات المادية والشواهد الأثرية بها ،وصولا الى تحديد موقع الضريح والمسجد وموضعهما وكذا الزمن الذي شيدا فيه – هذه الجزئية التي كثر فيها الجدل من طرف الأجانب خلال القرنيين الماضيين.

ولقد اعتمد في هذه الدراسة على المصادر كونها معروفة في البحث والتوثيق عند الجميع ،وأنها ثابتة زمانا ومتغيرة مكانا ،وهي مصدر معلوماتنا ازاء كل القضايا التاريخية والحضارية المراد بحثها ودراستها.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص333 – ص348
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

لقد قام الدكتور صالح بن قربة بحنكته البحثية بترتيل ما كتب في جل المصادر حول عقبة بن نافع وقبره و مسجده،مستعملا أسلوبا التحليل والنقد من خلال تساؤلات طرحها كونه أحد المؤرخين ليختم هذا الجزء بقوله((وهكذا نستطيع القول في ضوء ما استعرضناه من مادة مصدرية وبلدانية(جغرافية)،أو من دراسات وآراء حديثة حول هذا الموضوع ،الذي ما يزال يكتنفه الكثير من الغموض،ولعل ظاهرة الغموض هي الحافز لدراسته دراسة أثرية.

وفعلا افرد للدراسة الأثرية مساحة هامة ،توصل من خلالها الى مايلي:

-لا يجب اعتماد شاهد قبر كقرينة أثرية كونه يفتقد الى الصيغ التي عرفت بها شواهد القبور الاسلامية،وحتى الدراسة الأثرية لما وجد من كتابات بالمسجد في فترات لاحقة ،ونتيجة لتعرض هذا الأخير للعديد من أعمال التوسع والإصلاح والترميم منذ القرن 4ه والى غاية يومنا هذا ...ليكتب في الأخير((نرجو أن تفتح هذه المحاولة باب الاجتهاد وأن توجه موضوعات الرسائل الجامعية الى معالجة مثل هذه الموضوعات.

-**الفصل الثاني:** خصصه لوصف السكة الادريسية في تاريخ المغرب الأقصى

استهل الكاتب هذا الوصف بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للسكة ،وأهميتها في عملية التأريخ وتصحيح تاريخ بعض الحوادث التاريخية ،كونها تحتوي في الغالب على أسماء الحكام ونسبهم وألقابهم وكناهم وأسماء مراكز الصناعة وتواريخ الانتاج..الخ

ولعل الظاهرة الملفتة للنظر في السكة الادريسية هي خلوها من ألقاب الأدارسة الذين اكتفوا بذكر اسمائهم فقط،تجدر الاشارة أن هذه الدراسة خص بها السكة الفضية،حيث تطرق في البداية الى تاريخ الأدارسة بشكل موجز،وتأسيس حاضرة دولتهم الجديدة وإسهاماتها الحضارية في مختلف المجالات الفكرية والفنية والمعمارية.

ان السكة الادريسية الفضية قد عكست منذ ظهورها وتداولها الأحداث السياسية وجسدت منذ الاستقلال مفهوم الملك،وأكدت في نفس الوقت مخالفة الأدارسة لمذهب

العباسيين شكلا ومضمونا ،يتجلى في هذا الاتجاه فيما حملته نقودهم من أسماء متبوعة باسم الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

وصفها:مستديرة الشكل تحمل كتابتين من الوجه والظهر،وكتابتا الوجه تصرهما حلقتين معدنيتين بارزتين على شكل حبيبات متراصة تتوزع على مدارهما ستة أهلة تحتضن نجمة

أما الظهر:فنجد الكتابة المركزية داخل حلقة دائرية محببة ،تليها الكتابة الهامشية التي تدور عكس عقارب الساعة محاطة هي الأخرى بحلقة معدنية دقيقة جدا خالية من الأهلة.

توصل المؤلف بعد دراسة مستفيضة لعينة من هذه المسكوكات الى أن العبارات التي نقشت على هذه السكة تعبر تعبيرا صادقا عن انتمائها الى المذهب الشيعي في هامش الظهر ويقرأ من اليمين الى اليسار ((علي خير الناس بعد النبي كره من كره ورضي من رضي))،وهكذا يظهر الدور الاعلامي الذي تلعبه النقود كوثائق رسمية تثبت شرعية حكم الدولة التي تصدرها.

كما ذكر أن الادارسة قاموا بنقش الآية الكريمة((جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا))وعبارة ((مما أمر به ادريس))،اللذين أصبحا شعارا للدولة الادريسية.

الفصل الثالث:النسب الشريف في تاريخ المغرب الاسلامي من خلال المصادر الأثرية - المسكوكات والكتابات الشاهدية-

استهل دراسته بطرح الاشكالية التالية:

-ما الذي يستطيع الباحث أن يستخلصه من هذه المصادر بخصوص هذه الظاهرة التي واكبت قيام عدد لا بأس به من الدول والكيانات السياسية في المغرب وطبعت تاريخها من الظهور الى السقوط ؟ وهل كان لهذا النسب أثره في نظم الدول وشعاراتها وتشريفاتها ؟ هل توفرت فيها كل الشروط التي توفرت للخلافتين الأموية والعباسية.

للإجابة على الاشكالية المطروحة تطرق أولا الى الأدارسة (172هـ/375هـ) ونسبهم الشريف،حيث ذكر الكاتب أن الأدارسة كانوا على دراية تامة لما لهذا النسب من أثر

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

عميق في نفوس المغاربة واحترامهم لآل البيت ،فعملوا على ابرازه من خلال السكة الفضية.

تطرق في بدايته الى المفاهيم التي اوردتها جل المصادر والمراجع حول كلمة النسب ليلخصه بأسلوبه الخاص فيمايلي:((هو البحث عن الأصول والفروع الدموية التي يرتبط بها الفرد من حيث الأبوة والأمومة ،لأن النسب كان له أهمية خاصة في وضع الشخص الاعتباري داخل القبيلة والمجتمع))،ثم تطرق الى أهميته في تهيئة الأجواء المناسبة للدول التي وصلت الى السلطة بسبب المكانة التي حظي بها آل البيت في الحياة الاسلامية عامة والحياة السياسية بشكل خاص.

استعرض الكاتب أمثلة من واقع المغرب الاسلامي ،استخلصها أساسا من الدراسة التحليلية لنصوص السكة والكتابات الأثرية بنوعيها التذكاري و الشاهدي وربطهما بما ورد بخصوصها في المصادر التاريخية القديمة والمعاصرة.

وخلاصة القول :ان دولة الادارسة قامت نتيجة عاملين رئيسيين

العامل الاول:هو النسب الشريف

العامل الثاني:تطلع الأدارسة الى انشاء دولة بعيدة عن انظار العباسيين.

*نسب الفاطميين بين التاريخ والآثار(297هـ-362هـ/909م-972م)

دارت الاشكالية حول الى من ينتسب الفاطميين ،هل الى عبد الله بن ميمون(عبيد الله المهدي)،أم الى علي وفاطمة الزهراء،وبجمعه لأدلة تاريخية من العديد من المصادر والمراجع توصل الى أن قضية النسب لم تعد ذات بال بالنسبة للفاطميين أنفسهم وأصبحت الشرعية ثانوية لديهم ،حيث استخدموا التأويل واستعانوا بنظرية الحلول ،وأن الامامة عهد اجباري يعطى للمختار من بين العارفين بالعلم اللدني عن طريق استنارة العقل ،أي الذي خصته العناية الالهية بالنورانية ،وما ينسب الى الخليفة المعز لدين الله بعد ان دخل الى القاهرة من انه استقبل من طرف وفود من المهنئين وقال لهم وهو يستل سيفه من غمده وينثر عليهما الدنانير الذهبية((هذا حسبي وهذا نسبي))

ثم تطرق الى مسألة النسب من خلال المصادر الأثرية:يذكر أن الفاطميين اصروا على ابراز نسبهم الشريف عبر مسكوكاتهم ،بل ذهبوا أبعد من ذلك فعملوا على ابرازه عبر الكتابات الشاهدية ،حيث قام الكاتب بدراسة وصفية تحليلية لأهم الصيغ والعبارات الدينية التي نقشوها على الدنانير الذهبية والدراهم الفضية من فترة حكم المعز لدين الله الفاطمي.

-مسألة النسب الشريف في تاريخ الموحدين 541 هـ/668-1146/1269م

كتب في هذا الشأن :ورد في المصادر التاريخية بخصوص النسب العلوي لعلي بن عبد الله بن تومرت زعيم الموحدين الروحي ومؤسس دولتهم على أنه من آل البيت على الرغم من أصله البربري الصريح ،حيث ذكر مجموعة من المؤرخين المغاربة الذين يلحقون نسب هذا الأخير بآل البيت،ليذيل هذا البحث بخلاصة جاء فيها:

-أن النسب لآل البيت كان مطمع ومطمح وتطلع كل المسلمين وخاصة مؤسسي الدول والعلماء والأولياء الصالحين ،حيث قام بإبراز ابعاد هذه الظاهرة وأثرها في تاريخ المغرب الاسلامي.

الفصل الرابع:الجدل الفكري والصراع المذهبي في بلاد المغرب الاسلامي من خلال المسكوكات والكتابات الشاهدية

قام من خلال هذا الفصل معالجة الجدل والصراع منذ أواخر القرن الثالث الى بداية القرن السادس الهجريين(12/9م) من خلال بعض المصادر الاثرية المتمثلة في المسكوكات والكتابات الشاهدية ،واعتبر هذا الطرح والأسلوب في الطرح ،منهجا جديدا غير مألوف عند الباحثين في تناول مثل هذه القضايا الفكرية والمذهبية،فهو يكشف عن تاريخ الأفكار وتطور الذهنيات وتصارع الأفكار في هذه الرقعة الجغرافية الكبيرة من العالم الاسلامي،التي ساهمت مساهمة كبيرة في اثراء الفكر الاسلامي والثقافة العربية.

ركز في دراسته على الصراع بين ثلاثة مذاهب رئيسية كانت معروفة على الساحة السياسية آنذاك وهي:المذهب الشيعي الاسماعيلي،اهل السنة المالكية بالقيروان،والمذهب الخارجي الاباضي ،وأوجها كان بين اهل السنة والشيعة ،تتبعهما

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الكاتب تاريخيا مبرزا أهم القضايا التي كان السجال فيها بين الطرفين في أوجه ،ثم درسها من خلال المسكوكات وشواهد القبور.

4-2-الباب الثاني:من قضايا التراث العربي الفكري والمادي

الفصل الأول: أهمية الكتابات الأثرية الشاهدية في تاريخ المغرب الاسلامي وحضارته.

اهميتها تكمن في كونها تبرز مظاهر الصراع الفكري والمذهبي،وفي مجال التصوف المغربي الاندلسي،فهي تضم معلومات قيمة وإشارات واضحة الى اشهر رجالات التصوف وما اشتهروا به من أسماء وألقاب علمية ،الى جانب ذكر المدن والمراكز العلمية التي عاشوا فيها ،وتنقلاتهم من والى ،بل ان الكتابات تكشف بما لا يدع مجالا للشك من اسباب الوفاة وأماكنها وتاريخ الوفاة باليوم والشهر والسنة وفي أحيان كثيرة تصحح ما وقع فيه المؤرخون والإخباريون بالنسبة لتاريخ وفاتهم سهوا أو عمدا.

-التعريف بالقبائل والأشخاص والسلاطين والأنساب والأمكنة،مدعما هذا الفصل بنماذج من شواهد القبور،التي قام بدراستها دراسة أثرية وافية.

الفصل الثاني:أهمية الخط في تاريخ التراث العربي المخطوط

كانت أدرار بأقاليمها الثلاثة التاريخية المعروفة :اقليم توات(تمنطيط)،اقليم جرارة(تيميمون حاليا) وتيدكيلت(اولف وتمنراست،وعين صالح)من اهم المراكز الثقافية العربية الاسلامية طوال العصر الاسلامي ،وفيها انتشرت مراكز العلم والزوايا والمساجد وخزائن الكتب.

تطرق الكاتب اى ذكر اهم الزوايا الموجودة بهذه المناطق والتي تمتلك خزائن للمخطوطات عاينها بنفسه.

بعدها تطرق الى الحديث عن نشأة الخط والكتابة و النساخة ،وتفوق المسلمين في هذا المجال لارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم ،مركزا على أهمية الكتابات الأثرية ،كونها تميط اللثام عن الكثير من الأمور التي تتعلق بحياة بناة العمائر،وأصحاب التحف،اضافة الى انها تكشف عن أسماء الصناع والفنانين والمهندسين ،ولكي يحيط

بالموضوع احاطة شاملة قام بطرح الاشكال التالي :هل هناك سرا وراء اختيار هذا الخط او ذاك كوفيا او نسخيا ،ثلثا او ديوانيا ،وأين موقع الخط من المخطوط ،وهل يقف الخط عند النواحي التجميلية فقط ،ام يمتد الى النواحي التسجيلية والأمور العملية والمادية ،وهل هناك قاعدة هندسية يتبعها الخطاط عند كتابة المخطوط بأي نوع من الخطوط المستعملة آنذاك ،وهل يدخل في ميزان تقويم المخطوط عمليا وفنيا وماديا؟

يذكر بعدها التقزيم الذي طال هذا النوع من الدراسات ،حيث يقول((الخط ليس حروفا وأشكالا رسمت لذاتها ،ولكنها تعبر عن روح العصر،ويذكر ان الدافع لهذه الدراسة الجادة في علم المخطوط ،أن أصحابها انطلقوا من رصد مظاهر التطور من الآثار المادية دون اعطاء أهمية للكتاب المخطوط وتتبع هذه الظاهرة الخطية،التي لم تحظ باهتمامات الباحثين،وهنا يقترح عدة خطوات للقيام بهذا المشروع العلمي نذكر منها مايلي:

-وضع القوائم لمجموعة مخطوطات الخزائن الصحراوية،تمهيدا لقراءتها والقيام بدراسة احصائية لأنواع الخطوط المستعملة في كتابتها مشفوعة بجداول بيانية مضبوطة.

-وضع فهارس المخطوطات المؤرخة لأن التاريخ يمكن من القيام بالدراسة الأبجدية للمخطوط وتاريخ تطورها ومن ثم يسهل علينا تحديد الأنماط الخطية ثم مقارنتها بما يعاصرها من خطوط على الآثار المعمارية والتحف الفنية بجميع أشكالها واختلاف مواد صنعها.

-رصد مظاهر التطور الفني للكتابة بواسطة الابجدية والتحليل الابجدي المدعم بالجداول البيانية لتطور الحروف المفردة والمركبة في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها والمتطرفة منها والمنعزلة.

الفصل الثالث:اشكالية فهرسة المخطوطات العربية

استهل هذا الفصل برصد كل التعاريف الخاصة بمصطلح الفهرسة : فهو مصطلح فارسي معرب ويعني الكتاب الذي تجمع فيه الكتب ،معرب فهرست .

فهرسة المخطوطات:عمل شاق وصعب للغاية ،ذلك ان لكل مخطوطة قيمتها وسيماتها التي تميزها عن غيرها من مخطوطات الكتاب الواحد ،فنوع الورق وحجمه وعدده ونوع

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الخط والمداد واسم الناسخ وتاريخ النسخ ،وما قد يكون مثبتا عليها من تمليكات اوسماعات او اجازات او معارضات او نقول او اضافات او غيرها من الأشياء التي ترتبط بها...كذلك ينبغي أن ينص في البطاقة عن بداية المخطوط ونهايته .

،مشاكل الفهرسة المتمثلة في:

مشكلة مداخل المؤلفين القدماء:ويقصد بها هل يدخل المؤلفين بالألقاب ام بالأسماء ام بالاثنين معا .

-مشكلة عنوان الكتاب المخطوط :ان يكون للمخطوط اكثر من عنوان

مشكلة تاريخ المخطوط

مشكلة المجاميع،كل هذه المشاكل ذكر الكاتب منها نماذج تؤكد ما طرحه في هذه الاشكالية

4-3-الباب الثالث:من قضايا العمارة والعمران والتنمية البشرية ببلاد المغرب

الفصل الأول:جامع الكتبية بمراكش:تخطيطه وعمارته وتأثيراته الفنية على مآذن المغرب الاسلامي والأندلسي

جامع الكتبية من العمائر الدينية التي بناها الموحدون بمراكش ،ولقد تم اختياره كون الموحدين كان لهم الفضل في خلق طراز فني مغربي متميز بخصائصه وأساليبه ،حيث قام الكاتب بسرد الجانب التاريخي لهذا الجامع من خلال مجموعة من المصادر،مركزا على سرد قصة بنائه من طرف عبد المؤمن بن علي ،الذي جعل سباطا يتردد عن طريقه بين القصر والجامع ،ونقل اليه أي الى الجامع منبرا عظيما كان قد أمر بصنعه في الأندلس من العود والصندل الاحمر والأصفر وصفائحه من الذهب والفضة ،وأقام للمسجد مقصورة تسع لأكثر من الف رجل ،وكان الذي تولى صنع المقصورة والمنبر الحاج يعيش المالقي...اخذ الكاتب هذه المعلومات من كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب .

منهجيته لدراسة هذا الجانب انصبت حول:

مخطط الجامع،المئذنة،تاريخها،مكوناتها المعمارية،العقود المفصصة،الزخارف العامة،الزخرفة ذات النتوءات،أطر البوائك (كلها خاصة بالمئذنة كونها نموذجا اتخذتها المآذن المغربية مثالا لها

-بنيت خلال ثلاث مراحل عبر حكم ثلاثة خلفاء الأوائل من الحكم الموحدي.

ختم هذه الدراسة بقوله:ان مئذنة الكتبية بما انطوت عليه من تخطيط وبناء وزخرفة تعتبر فعلا من أجمل مبتكرات الفن الاسلامي.

الفصل الثاني:جامع حسان بالرباط تخطيطه وعمارته وتأثيراته الفنية على عمائر المغرب الاسلامي

جامع حسان بالرباط من أكبر المساجد في الاسلام بعد جامع سامراء بالعراق بلغت مساحته(183x140م)،درس الكاتب تخطيطه،صحون الجامع،المئذنة (الشيء المتبقي إضافة الى بعض الأعمدة،الوصف المعماري لها،الزخارف...ليختم دراسته هذه بقوله((قبل ان ننهي كلامنا عن مئذنة حسان التي أثرت بشكلها ومظهرها الفني في الكثير من المباني التي شيدت في العصور التالية ،لابد من الاشارة الى ان المساجد المغربية لم تعرف تعدد المآذن عبر تاريخها الطويل ،بل تميزت بأحادية المئذنة فقط معبرة بذلك عن وحدة المذهب المالكي.

الفصل الثالث:العمران الصحراوي اشكالية الدراسة والمنهج

في البداية تحدث الكاتب عن ندرة الدراسات حول المعالم الصحراوية ،وذلك لعدة عوامل ذكر منها مايلي:

-تعرض هذه المباني والمعالم للاندثار والزوال التدريجي من جراء العوامل البشرية والطبيعية

-طبيعة المادة الهشة التي استعملت في بنائها وتشكيل هيكلها

-ندرة الوثائق التاريخية والأوصاف الجغرافية مع غياب الشواهد والمعطيات التاريخية

-عدم اهتمام المؤرخين والكتاب بهذه المعالم

-قلة الدراسات الحديثة حول هذا التراث

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص333 – ص348
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

-الملاحظ ان الرحالة الذين زاروا هذه المناطق ركزوا على الجانب الاجتماعي والحياة داخل القصور دون اعطاء أي اعتبار للجانب المعماري لهذه القصور

-لم تبر الدراسات الخاصة بالعمران الصحراوي مكانة المسجد ودوره في الانشطة الحياتية للقصور الصحراوية.

-لم تحظ الزوايا والأضرحة بالجنوب بدراسة علمية جادة حتى يومنا هذا ،عكس نظيرتها بالمغرب الأقصى .

لقد خص المساجد في البيئة الصحراوية بهذه الدراسة ،وكعينة درس عمائر منطقة بشار .وكخلاصة لهذا الفصل كتب الكاتب :((ان الوضعية التي تعيشها هذه المعالم المنتشرة على رقعة جغرافية كبيرة من صحرائنا ،تتطلب من المصالح المختصة الاسراع في انقاذها قبل اندراسها نهائيا ،كما تتاج الى تكاثف جهود العلماء والباحثين المختصين لدراستها ونفض الغبار عنها وإخراجها من براثين النسيان،فهي تمثل تراثا معماريا اسلاميا يجب الاهتمام بدراسته وتحليله وتصنيفه ،فهو يمثل التجربة الصحراوية في مجال العمارة والعمران الاسلامي)).

الفصل الرابع:مظاهر العمران الاسلامي من خلال كتاب :القسمة وأصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد الفرسطائي –عمران قصور وادي ريغ وميزاب نموذجا-

مصدر هام من مصادر العمران الاسلامي ،مؤلفه احد اعلام الفكر العمراني الاسلامي ببلاد المغرب ،الذي كرس حياته ممتهنا للعلم ،تعلما وتعليما وتأليفا ،ولذلك جاء مرجعا فريدا في مجاله وفي طرحه ومعالجته للقضايا الفقهية التي تناولها بذكاء وفكر وموهبة في التشريع،فكان اذا ناقش مسألة من مسائل الفقه أحاط بكل تفاصيلها وجزئياتها ودقق في جوانبها ،موقف الخبير المتمكن من حرفته.

وكتابه من الكتب القليلة التي عالجت بدقة موضوع العمارة من وجهة النظر الاسلامية،فالكتاب غني بالمعلومات والبيانات عن العمارة والعمران وتطورهما في البيئة

الاباضية خلال القرن5هـ ،فنجده يتحدث عن القصر الذي يمثل أحد انماط العمائر الصحراوية والتي مازال طابعها قائما الى اليوم.

تحدث عن الشارع والدروب والأزقة والسكة ،واصفا الغرق والبيوت والمساجد والفنادق والجسور ،ثم يبين ما يتعلق بها من حقوق وإحكام في ضوء القواعد الشرعية مثل :مبدأ لا ضرر ولا ضرار،ودفع المضرة مقدم على جلب المصلحة،وغيرها من القواعد التي اتخذها الفرسطائي اصولا لأحكام الاموال وعمارة الأرض.

حسب الكاتب،لا نعرف تاريخ مولده ولا مسقط رأسه ،فهو يقول عاش ما بين (420-504هـ/1029-1110م).

قام الكاتب بدراسة عدة نماذج من القصور الصحراوية بمنطقتي وادي ريغ ووادي ميزاب وأسقط مكوناتها وطريقة بنائها على ما جاء في كتاب الفرسطائي .

دراسة جميلة جدا وممتعة ومفيدة ،فكل جزء من مكونات هذه القصور وجد ما يقابله في كتاب الفرسطائي.

الفصل الخامس: دور الآثار في التنمية البشرية –قلع بني حماد ومدينة سيدي عقبة نموذجا-

انا شخصيا لما وجدت هذا العنوان تملكتني الدهشة وغلبني الفضول،وحاولت أن اخمن ماذا اراد ان يقول ،لأجد الكاتب نفسه يقول:انه يعتبر مثل هذه الدراسات من الموضوعات الجديدة والطريفة في آن واحد،حيث يعلل رأيه ،لم يسبق طرق هذا الموضوع الطريف بكيفيات خاصة او محاولات علمية جادة ،خاصة ونحن في القرن الواحد والعشرين ...الى ان يقول ان الفكر المباشر لخلق تنمية بشرية هو نفسه الفكر المباشر للدراسات والأبحاث الاثري واثره في الانسان والمحيط معا،ليصل الى تعريف التنمية البشرية:فيقول هذا المصطلح يكد ان الانسان هو وسيلة وغاية التنمية،كما يقول ان النمو الاقتصادي يعتبر هو الآخر وسيلة لضمان الرخاء للمجتمع ،ومن ثم يمكن اعتبار التنمية البشرية عملية تنمية وتوسيع الخبرات المتاحة امام الانسان.

اما عن أهمية الاثار في التنمية البشرية ،كون الآثار بمختلف أنواعها تحتوي على ثروات فكرية وفنية وعمرانية وحرفية.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص333 – ص348
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ثم يتطرق الى دور السياحة الأثرية في التنمية.

بعدها قام الباحث بتطبيق ما ذكره نظريا على قلعة بني حماد ومدينة سيدي عقبة ،وزودنا بحلول عملية منظمة تجعل من هذين الموقعين جاذبين للسياحة اذا ما خططنا تخطيطا منطقيا مبني على التفكير الجدي وتجسيده ميدانيا نحو خلق سياسة تنموية حقيقية تحترم كل المقاييس والمعايير العالمية التي تسير في هذا المسعى.

الغريب في الأمر الكاتب لم يضع خاتمة لهذا الكتاب !

5-رأيي في الكتاب من حيث الأسلوب والمنهجية والمحتوى:

من خلال ما اطلعت عليه في هذا الكتاب ،اختم بمايلي:

-الكتاب فسيفساء جميلة من المواضيع التاريخية والأثرية

-رغم تنوع المواضيع والقضايا المعالجة في هذا الكتاب ،إلا أن الكاتب كان وفيا لتخصصه ،ففي كل مرة كان يوظف الكتابات والمسكوكات كمصادر مادية لتدعيم دراساته التاريخية ،التي يعتمد فيها على أمهات الكتب المتمثلة في المصادر الجغرافية والتاريخية،حيث لاحظت نادرا ما يعتمد المراجع الحديثة.

-تبنيه للإشكالية عند كل فصل،هذه الاشكالية التي تعتبر اطار تنظيمي لاستغلال المعلومات دون الحشو الزائد.

- أسلوبه الرائع المتمثل في النقد التاريخي والأثري لكل القضايا التاريخية والأثرية التي قام بدراستها .

-استعماله للجداول البيانية لرصد المعلومات التاريخية كرونولوجيا وتفكيكها عبر عناوين تسهل عملية الفهم العميق للمعلومات.

-تطرقه الى مواضيع جوهرية كالخط في المخطوطات،والعمارة الصحراوية ،كونهما لم يطرقا بصورة معمقة في الدراسات السابقة،طبعا دائما حسب الكاتب.

-تذييله لكل فصل بملاحق عبارة عن أشكال ومخططات وصور توضيحية

مجلة الدراسات التاريخية

- أسلوب الكاتب سلس وبسيط ،لغته جميلة جدا،يبدو تأثره الشديد بلغة المصادر التاريخية،حيث استعمل وبشكل واضح مصطلحات تاريخية وأثرية تجعل كل من يتصفح الكتاب ،يدرك أن مؤلفه متخصص في محتواه.

-انتهج المؤلف منهجية علمية واضحة ،حيث دمج بين اختصاصين متكاملين وهما:التاريخ والآثار،اذ استقى مادته التاريخية من المصادر ولم يعتمد بتاتا على المراجع إلا نادرا،كما اعتمد على الشواهد المادية لتأكيد كل معلومة تاريخية .

-عالج عدة مواضيع من خلال ثلاثة أبواب،كل باب يحتوى فصولا لمواضيع مرتبة ترتيبا كرونولوجيا .

-تسايرت أبحاثه وبعض المصطلحات الجديدة كالتنمية البشرية ،التي وظفها في التاريخ والآثار من خلال ابراز أهمية هذين التخصصين في تعميق الهوية الوطنية لدى الفرد، وهذه الجزئية أجزم أنه أول من تطرق اليها بالمعنى المتعارف عليه حديثا حول التنمية البشرية.

في الأخير أوصي بقراءة هذا الكتاب، وأنا أضمن لكم المتعة والفائدة،وتأكد عزيزي القارئ أنه سيتزكى منهجك وأسلوبك في البحث التاريخي والأثري.

رحمك الله استاذي الفاضل وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ،اللهم ارفعه في عليين واكتبه عندك من المحسنين..اللهم آمين.